العدم والاطلاق؟ وليس يخفى على أحد أن من الجهل والبلادة أن يتوسل الى أحد أو أن يسأل بما ثبت له مطلقاً مرسلاً كقولك: أسألك بما لك أو بما ثبت لك أو بما هو لك أي ما ثبت. وإذا اعترف الرافضي بأن الجعه هو الثابت واعترف بأن جعه الرسول هو ما ثبت له عليه الصلاة والسلام فهل يجوز التوسل بذلك بأن يقال: أسألك يا الله بما ثبت من لعبدك فلان أو بما ثبت لرسولك عليه السلام؟ ما أظن الرجل يجيز مثل هذا. وهو ان لم يجزه كانت الحجة عليه وان اجازه فقد اجاز - ولا بد - التوسل بكل ما ثبت للرسل والصالحين من الذنوب والاشياء الاخرى المختلفة. وهذا لا يقول به انسان ولا يحسب مخلوقاً يرى من الامور الجائزة شرعاً أو عقلاً ان يقول المسلم أسألك يا رسول الله بما ثبت لك أو اتوسل اليك بما ثبت لك على وجه الاطلاق والتعميم. وإذا كان من غير الجائز التوسل الى الرسول بما ثبت له فكيف يجوز التوسل الى الله بذلك؟ أحسب ان المسألة أصبحت في غاية من الوضوح والجلاء،

نعم قد يقال ان المراد بالجعه في مثل هذه الاستعمالات شيء غير مخلوق، لا يتناوله هذه الاعتراضات وذلك ان يكون المراد بالجعه المراد في قول القائل: أسألك يا الله بجعه نبيك أو بجعه نبيائك معنياً به نصرة الله لهم وتأييده إياهم وحبه لهم وسائر هذه المعاني التي تتعلق بصفات الله أو التي هي صفاته. ولا شك ان من جعه انبياء الكرام على الله ومن جعه عباده الصالحين عامة أن يؤيدهم وينصرهم ويحبهم ويرعاهم كما في قوله تعالى: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» وقوله: «وعد الله حقاً» في آيات ونصوص أخرى معلومة... وإذا كان الجعه في مثل هذه الأدعية والعبارات غير مخلوق وكان يعني به صفات الله كان هذا من التوسل والسؤال بصفات الله تعالى وهو مجمع على جوازه وصحته.

ان قيل هذا قلنا: نعم قد يصح هذا قصداً ولفظاً واستعمالاً ولكن تخرج المسألة حينئذ عن أن تكون مما يذهب اليه المخالفون من جواز سؤال الله والتوسل اليه بالمخلوقين وبجاههم وحرماتهم وبركاتهم وكل تلك الاشياء التي يوردونها في حجاجهم ولا ادعيتهم وكلامهم. وليس الخلاف بيننا وبينهم في سؤال الله بصفاته أو بذاته فان هذا هو الدين أو أصل الدين ولبابه وانما الخلاف في التوسل والسؤال بالمخلوقين. غير انه يمكن ان يقال على هذا: إذا كان المراد سؤال الله والتوسل اليه بصفاته تعالى لا غير فلماذا خص من ذلك الصفات المتعلقة بالمخلوقين ولماذا قيدت صفاته تعالى بهم حين التوسل والسؤال بها؟ ولماذا قيل: أسألك بنصرك عبدك فلاناً وبحبك إياه ولم يقل: أسألك بذاتك العليا وصفاتك الحسنى وبسائر أسمائك على وجه الاجمال أو التفصيل كما جاء في أدعية الانبياء والصالحين المذكورة في القرآن وفي السنة وأي معنى في سؤال الله والتوسل اليه بنصرة عبيده؟ وما مثل هذا الا سؤال الله تعالى والتوسل اليه بإطعامه العباد وإعطائهم ورزقهم كأن مثلك يقول القائل: أسألك يا الله بإطعامك رسولك أو بإعطائك إياه أو برزقه وخلقه وأمثال ذلك. وهذا بلا شك سؤال فاسد باطل، لا ارتباط فيه بين المتوسل والمتوسل به ولا تناسب بينهما وما مثله الا ان يقول انسان لآخر: أسألك بجعه فلان الآخر عليك أو أسألك بحبك إياه وعطفك عليه. والذي يصح في مثل هذا المقام ان يقال: أسألك بحقي عليك إذا كان يخاطب مخلوقاً. فان من سأل انسان أخاه بحقه عليه فقد سأل بسبب صحيح معقول وأدلى بما يمكن ان يكون نافعاً مجدياً وليس كذلك من سأل بجعه آخر فانه يكون سائلاً بما هو أجنبي بعيد عنه وعن غرضه. ولهذا فانا نشهد في كلام السلف وكلام العلماء ان يسأل بعضهم أخاه بحقه نفسه عليه. وهنا صح المعنى واضحه لأن من قال لآخر: أسألك بحقي عليك كان مراده بذلك ان يسأل بما وجب له على أخيه من الطاعة والاجابة والاكرام والبر والاحسان بالمعروف. فمن قال لأخيه أسألك بحقي عليك كأنه قال ان لي عليك حقاً واجباً أداؤه فاذكرك به واذكرك باحترامه وقضائه، راجياً أن